دمعة!.. على زميل راحل(*)

أما المصابُ فكان شرَّ مصابِ ... يا بهجةَ الأقرانِ والأترابِ
لم ندر أن الأرضَ قادرةٌ على ... إخفاء ضوءٍ ثاقبٍ لِشهابِ
حتى رماكَ بنافذ من سَهمه ... قدرٌ كليلٌ حالكُ الجِلبابِ
تلك المنيةُ لا تزالُ على الورى ... تسطو بظفرٍ لا يغل وناب(١)
في كل يومٍ بالفؤادِ مرارةٌ ... لفراق منْ يمضي من الأحبابِ
ويفتِّتُ الأكبادَ أنَّ فِراقَهُم ... ورحيلَهُمْ عنا لغير إيابِ
فالنفسُ تُجرعُ بعدهُم كأس الأسى ... مُراً مذاقتهُ كطعمِ الصَّاب(٢)
والقلبُ يبكيهمْ دماً، والعين لا ... تنفك أدمُعُها كفيضِ سَحابِ
أأبا الفتوحِ لئنْ رحلتَ فإنما ... رحلتْ سعادتُنا على الأعقابِ
أيُّ الورود غداة فقدكِ صوحت ... وذوى بموتك أيُّ غصنِ شباب(٣)
أفهكذا تمضي ولم تنلِ الذي ... تسعى إليه بعزمةٍ وطلاب
أمَلٌ تعلَّق بالحياةِ فما دنا ... هلْ كان هذا العيشُ غيرَ سراب
يا أيُّها النائي وذكركَ مائلٌ ... في القلب يحكي راهبَ المحراب(٤)

(*) ألقيت «بسلمنت» في مأتم الزميل الراحل أبو الفتوح هلال رثاء له ثاني يوم وفاته ٢٢ أبريل - نيسان - ١٩٥٤.

(١) يفلء من (الفَلُّ): واحد فلول السيف وهي كسور في حده.

(٢) الصاب شجر مر، أو عصارة الصبر، وقيل عصارة شجر مر.

(٣) صوَّحت : من التصويح : التجفيف.

(٤) مائل : شاخص وحاضر، يحكي راهب المحراب: يشبه راهب المحراب.

لو كان يجملُ بي التصبر عن فتى ... أجدُ التصبر عنك غير صواب
كيف السبيلُ إلى التجمل، والردى ... أودي بصارم عزمِكَ الوثَّاب
وطوتك أيدٍ للمنونِ وما طوت ... غير المؤمَّلِ، جامِعَ الآداب

* . * . * . * . *

يا أيُّها القبرُ الذي قد ضمَّهُ ... أينَ الطريقُ لكي أبثُّك مابي
أيبتُ منْ فاضتْ بشاشةُ وجهِهِ ... نوراً، رهينَ حجارةٍ وتراب
وتلف منْ قدْ كان ملءَ عيوننا ... ظلماتُ قفرٍ مُحكَمِ الأبواب!

* . * . * . * . *

في ذمةِ الرحمنِ ثاوٍ في الثرى ... وإلى جوارِ الله خير رحاب
وعزاؤنا أَنْ سوف يجمعُ شَلمنا ... بعدَ الفراقِ المرِّ يوم حساب
يا ربِّ ألهمنا وعوضنا بهِ ... صبراً وسُلواناً وحسنَ ثواب

* . * . * . * . *